من وحي كليلة ودمنة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر



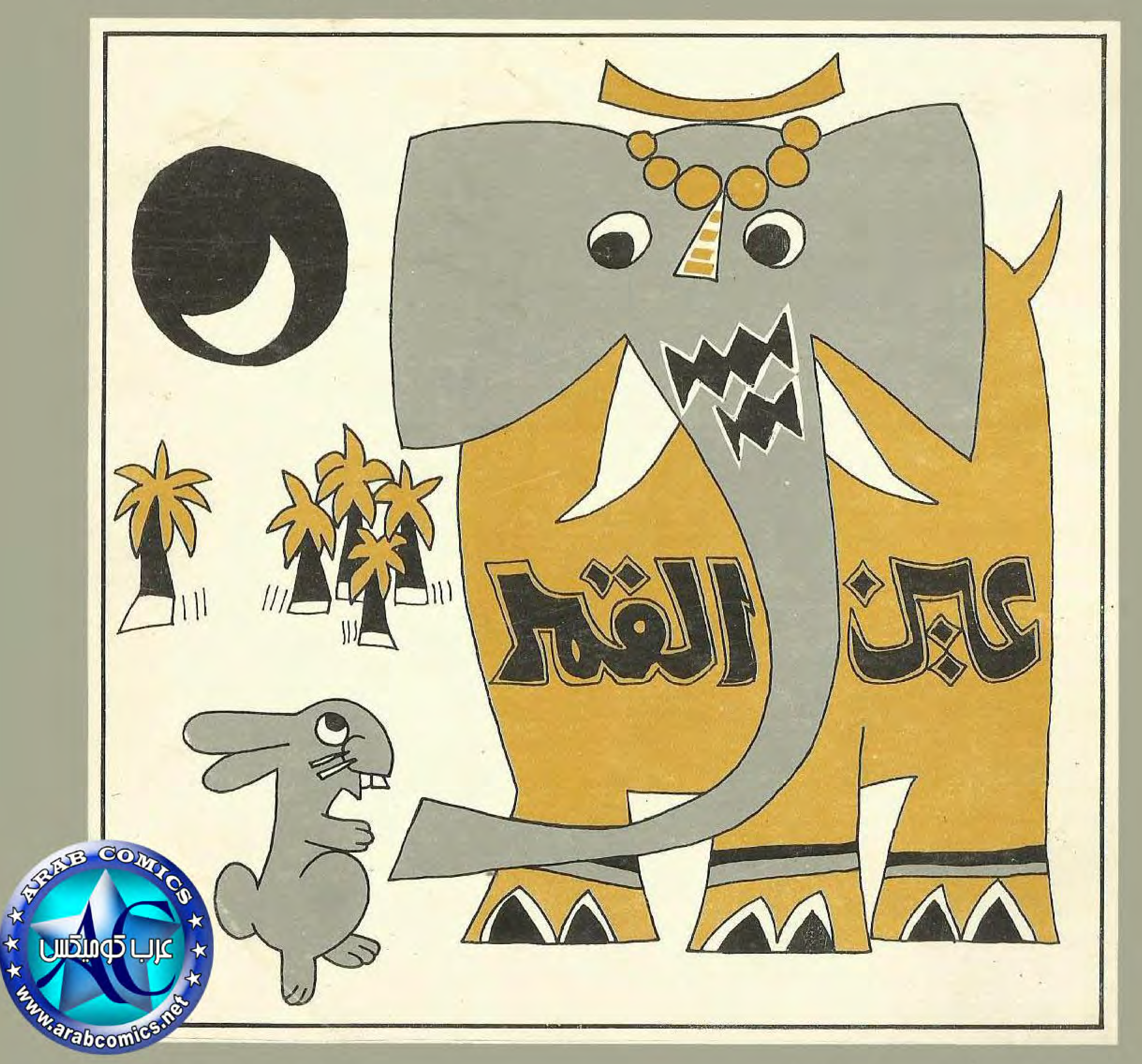
١٣

اعداد : راجي عنايت

رسوم : بَهجت عثمان

من وحي كليلة ودمنة

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر



١٣

اعداد : راجي عنايت

رسوم : بهجت عثمان

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

من وحي كليلة ودمنة





اعداد: راجي عنايت
رسوم: بهجت عثمان

مسح ضوئي واعداد: احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

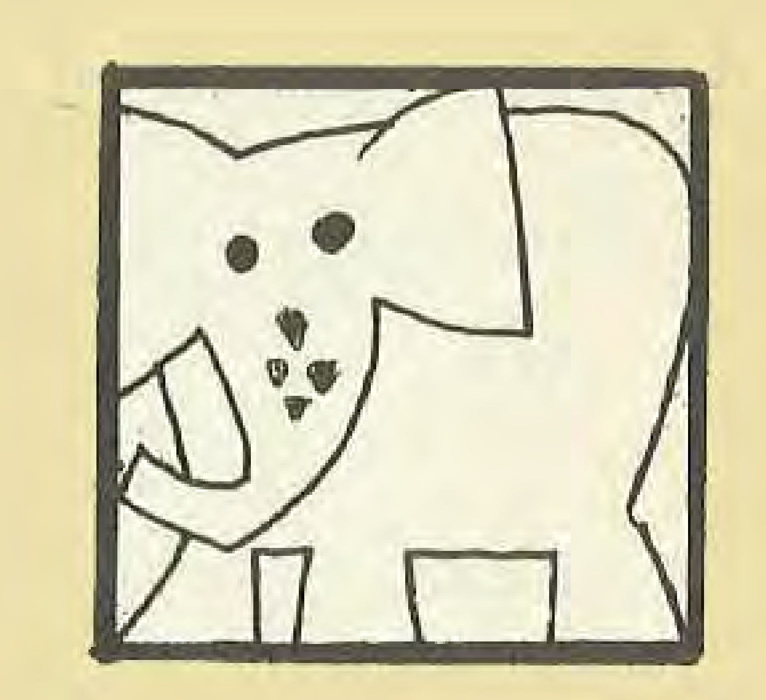


الطبعة الاولى
١٩٧٨

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

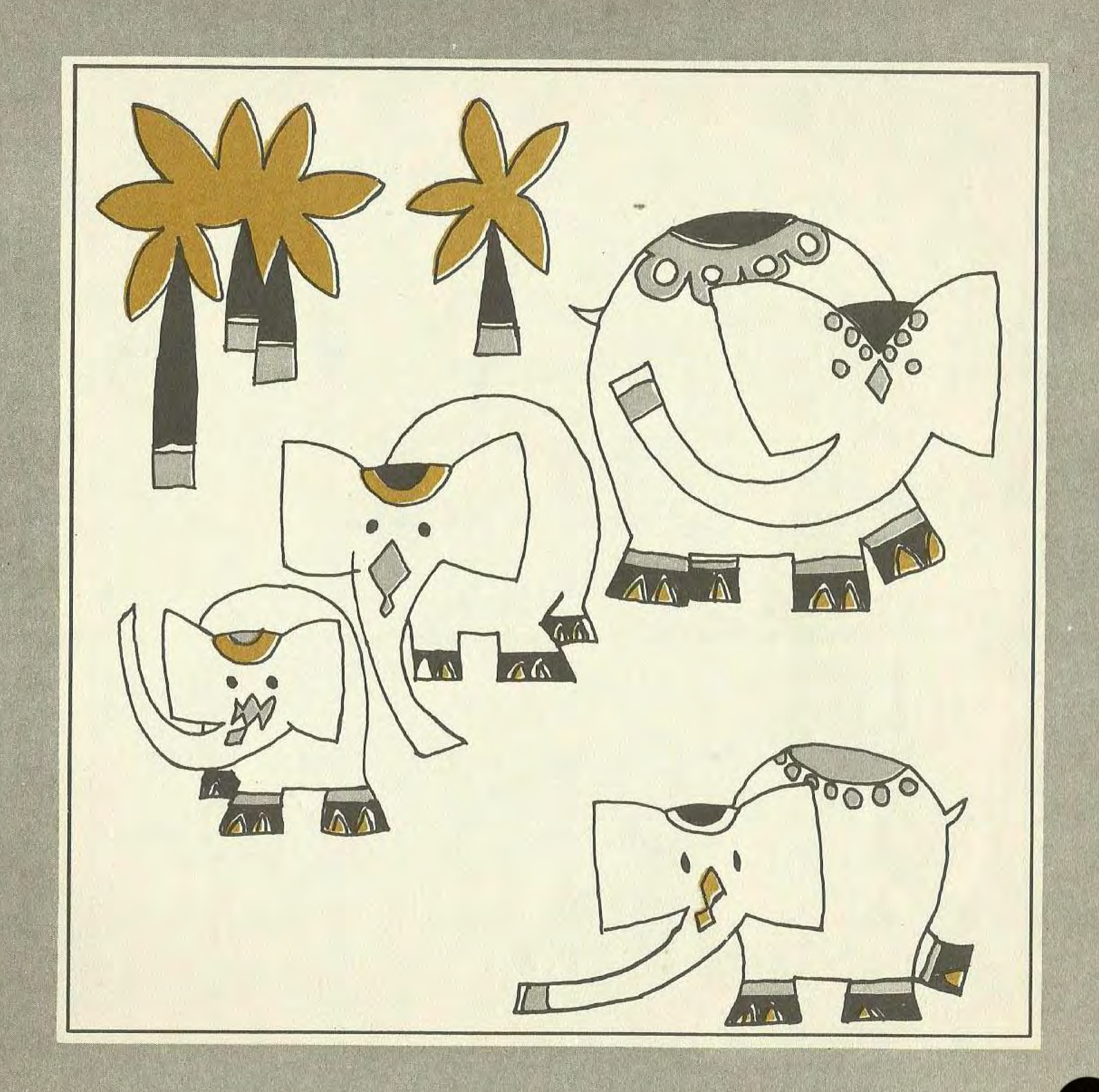
المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
بناية صمدي وصالحة - ص.ب: ١١/٥٤٦٠
بناية برج شهاب - تلة الخياط - ص.ب: ١٩٥١١٩
برقيا: موكيالي - بيروت


عين
القمر



رفع الفيل خرطومـــــه عاليـــاً في الفضاء ، ثم أصـــدر نداء عاليـاً متواصـــــلا ، تردد صـــداه في كل مكان . وبعد قليــــل عـــاود النداء بحماس وإصـــرار ، فاندفعـــــت الفيلة نحـــوه ، قادمة من كل مكان .. فيلـــــة كبـيرة ضخمـــة ، وفيلـــة صغـــيرة تلهو في مشيتها وتـــتراقص .. وقد التمعت أنيابها جميعـــاً ، بيضـــاء ناصعة تحت أشعة الشمس البراقة . ومن خلف الفيلـــة المتدافعـــة ، ثـــارت عاصفة من الـــتراب ، لم تهدأ الا بعـــد وقـــت طويـــل .

أحاطت الفيلة كلها بالفيل الذي أطلق النداء ، وبقيت صامتة في انتظار كلماته . قال الفيل صاحب النداء بعد أن هدأت الحركة من حوله تماما « تعلمون جميعا أن فصل الربيع قد حل ، وانتهى الشتاء ببرده



وعواصفه .. وقد أرسلني إليكم ، ملكنا الفيل الأعظم لاخبركم انه ستجري في الغد ، احتفالات مملكة الفيلة بفصل الربيع .. فصل الشمس المشرقة ، والورود والازهار الجميلة .. » . تعالت صيحات الفيلة مرحبة باحتفال الغد .

انتظر الفيل حتى خفتت صيحاتهم ، ثم قال مستطرداً « موعدنا غدا عند انتصاف النهار ، بالقرب من البحيرة التي نشرب منها . وعلى الجميع أن يبقى في هدوء حتى يحضر ملكنا وملكتنا ، لكى يبدأ الاحتفال الرسمي » .

فرحت الفيلة ، وانصرفت تدب على الأرض ، فتصدر أقدامها أصواتا كدق الطبول الضخمة الهائلة ، وتتابعت صيحاتها المتباينة ، بعضها رخيم عميق ، وبعضها الآخر حاد رفيع ، ومرة ثانية ثار الغبار من حولها في سحابة كبيرة عالية في الفضاء .

وقبل أن ينتصف نهار اليوم التالي ، كانت الفيلة قد تجمعت حول البحيرة الصغيرة ، بعضها يرقد في استسلام استعدادا للحفل ، والبعض يعبث مهرولا لاعبا بخرطومه . وفي نفس الوقت كان ملك الفيلة يستكمل زينته استعدادا للاحتفالات . أما الملكة فقد انشغلت في تزيين ابنائها بالورود والازهار وأغصان الشجر الجميلة . وعندما انتهوا من استعدادهم ، خرج موكبهم في وقار متجها الى البحيرة . كان الملك يسير

في المقدمة ، ومن خلفه الملكة ، ومن خلفهما صغارهما ، تحاول قدر طاقتها أن تسير في وقار ورزانة مقلدة الملك الأب .

ما أن ظهر موكب الملك ، حتى تعالت صيحات الفيلة مرحبة به ، وتجمع صغار الفيلة ينشدون الأناشيد . وقبل أن يصل الملك الى المكان المخصص له ، والمزين بفروع الأشجار ، تقدم اليه الوزير ، وألقى كلمة رسمية يرحب فيها بالملك وموكبه ، ويعلن افتتاح احتفالات الربيع .

جلس الملك في المكان المعد له ، والى جواره جلست الملكة ، ثم اصطف الأبناء على جانبيهما . وعندما هدأت هتافات الترحيب التي ترددها الفيلة ، نهض الملك وأشار محييا بخرطومه ، فرفعت الفيلة كلها خراطيمها ترد التحية . قال الملك بصوت رخيم « يا شعبي العظيم .. ها قد حل فصل الربيع ومملكة الفيلة في سعادة وهناء .. ونحن قد اجتمعنا اليوم للاحتفال بعيد الزهور والنماء والخصب .. فليكن احتفالنا مرحا سعيدا ، يشبه مرح هذه الشمس التي تبدو متألقة لامعة في السماء ... أعاد الله علينا هذا العيد باليمن والبركة والسعادة » .

على الفور بدأت الاحتفالات برقصة قدمها صغار الفيلة . ولم يتمالك ابناء الملك أنفسهم ، فانطلقوا من مكانهم يشاركون في هذه الرقصة ، ومن حين لآخر ينظرون الى أمهم الملكة ، يستمتعون بنظرات الاعجاب في عينيها .



وتتابعت بعد ذلك فقرات الاحتفال ، من رقصات وأغان وألعاب بهلوانية ، صعدت فيها صغار الفيلة فوق ظهور كبارها .. وانتهى الاحتفال الرسمي ، فقدم الطعام الى الملك والملكة ، وانشغل كبار الفيلة بطعامهم ، أما الصغار فقد أسرعوا الى البحيرة ، يسحبون الماء منها بخراطيمهم ، ويطلقونه على بعضهم البعض رشاشا مندفعا عاليا . طال لعبهم بالماء وهم لا يملون ، حتى ارتفع صوت فيل عجوز ، يصيح صيحات محذرة متلاحقة . نهض الملك من مكانه ، وأشار الى الجميع يطلب الصمت ، ثم نظر الى الفيل العجوز ، وسأله « ما الأمر يا حكيم الفيلة ؟.. » ، قال الفيل الحكيم بصوت مرتعش « يا مولاي .. أرجوك أن تأمر هؤلاء الصغار بالكف عن اللعب بماء البحيرة .. فهذه البحيرة نعتمد عليها كلنا في شربنا .. ولو ظللنا نعبث بمائها على هذا الشكل ، نضب الماء ، ومتنا عطشا .. » ، ضحك الملك ، فتشجعت الفيلة وشاركته الضحك ، ثم قال الملك « دعهم اليوم يحتفلون بعيد الربيع كما يشاؤون .. انه يوم واحد في العام أيها الفيل الحكيم .. » .

لم يسعد الفيل الحكيم بكلمات الملك ، ورأى صغار الفيلة تعود الى العبث بماء البحيرة ، فانصرف غاضبا ، مبتعدا عن مكان الاحتفال يقول « سترون غدا يا من تعبثون بنعمة الله عليكم .. » ، غير أن أحدا لم يستمع اليه .

تمر الأيام والشهور ، وينخفض الماء في البحيرة شيئا فشيئا ، ورغم أن الفيلة لاحظت ذلك ، الا أن احدا لم يتكلم عن تناقص الماء ، هربا من مواجهة هذه المشكلة الصعبة ، وعلى أمل أن تتجدد مياه البحيرة من الأمطار المتساقطة . لكن الموسم كان جافا ، فلم تتساقط الأمطار ، وأرسلت الشمس أشعة ساخنة الى سطح البحيرة ، فأخذ الماء يتبخر يوماً بعد يوم ، حتى أصبحوا ذات يوم ليجدوا قاع البحيرة وقد ظهر لعيونهم .

في نفس الوقت كانت الاشجار تعاني من نفس ما تعاني منه الفيلة . أخذت تمد جذورها الى جوف الأرض فلا تجد الماء الكافي لنموها ، فذبلت الأوراق ، وجفت الأغصان ، وصارت سوداء اللون .

هنا فقط ، أحست الفيلة بخطورة المشكلة ، فتجمعت عند ملكها تطالبه بالبحث عن وسيلة للحصول على الطعام والشراب ، قال أحدهم « مولاي ملك الفيلة ، ان جنسنا بأكمله معرض للفناء ، فالماء قد نضب ، والأشجار يبست وجفت ولم يعد بها ما يؤكل ، ولو انتظرنا أكثر من هذا متنا جميعاً وأصابنا الهلاك .. ولا بد أن نستقر على رأي في هذه المحنة التي تواجهنا جميعا » .

نظر الملك الى الفيل الحكيم العجوز الذي انتحى جانبا ، وجلس صامتا وقال له « قبل أن أعرض رأيي ، أحب أن أستمع الى ما يقوله أخونا الفيل الحكيم » ، تردد الفيل الحكيم طويلا قبل أن يتكلم ، ثم قال

بصوت يغلب عليه الحزن « أعلم أن قولى سيؤلمكم ، ولكن لا بد لي قبل أن أعرض عليكم رأيي ، من أن أذكركم بما قلته لكم يوم عيد الربيع ، عندما وجدت الصغار يعبثون بالماء في استهتار » ، تعالت صيحات الاحتجاج ، فانتظر الفيل الحكيم حتى خفتت وعاد ليقول « لا تحتجوا على تأنيبي لكم ، فالعاقل من استفاد من خطئه » ، ثم نظر الى الملك وقال « الرأي عندي يا مولاي أن نرسل الرسل الى الأقاليم المجاورة يبحثون عن مكان مناسب ننتقل اليه ، وعند عودتهم يمكننا أن نتناقش في أنسب الأماكن » .

على الفور تم اختيار الرسل الذين سيكلفون بالبحث ، وحدد الملك لكل منهم الطريق الذي سيسلكه ، بعد أن أوصاهم بسرعة البحث ، والعودة فورا ، قبل أن تنفذ البقية الباقية من الماء في مكانهم .

انطلق الرسل في حماس . ومرت الأيام .. فهلك منهم في الطريق من هلك ، عطشا وجوعا .. ووقع بعضهم في أيدي الصيادين .. كما تعرض بعضهم لهجوم الأسود والنمور في الغابات المجاورة . طال انتظار ملك الفيلة لرسله الذين أوفدهم ، وبدأ قلقه يتزايد على مر الايام . ومن حوله كانت عيون الفيلة كلها تساؤل ورجاء في الوصول الى حل لمشكلتهم .

كانت فرحة الفيلة عظيمة ، عندما عاد أحد الرسل يلوح بخرطومه في الهواء ، ويطلق صرخات الانتصار . أسرع ملك الفيلة يلقى الرسول في

منتصف الطريق . صاح الفيل وهو يلهث « لقد وجدت المكان المنشود .. » فارتفع تهليل الفيلة يهز المكان ، سأل الملك « أين ؟. أين ؟. تكلم حتى ننتقل فوراً إلى المكان الجديد .. » ، قال الفيل « عند عين القمر ... عين من عيون الماء الرائق التي تفيض من جوف الأرض بسخاء .. هيا الى عين القمر » .



عين القمر .. نبع ماء رائق ، تفيض مياهه في بركة واسعة ، تلمع صفحتها كلما سقطت عليها أشعة القمر ، فتبدو كالفضة البراقة . وحول هذه البركة ، تظهر فتحات صغيرة في الأرض قد لا ينتبه اليها العابر . هي في حقيقتها ، الفتحات التي تؤدي الى مملكة الأرانب الممتدة تحت الأرض . من هذه الفتحات تمتد السراديب الطويلة ، التي تؤدي الى بيوت الأرانب ، حيث تعيش وتخزن طعامها .. وأعمق هذه السراديب ، كان يصل الى فراغ متسع ، تحمي سقفه صخرة صلبة ، يعيش فيه ملك الأرانب مع عائلته وجنده .

ذات ليلة ، أحست الأرانب بالارض تهتز وترتج بشدة ، فأصابها رعب شديد . همت بأن تخرج من جحورها لترى أمر هذا الزلزال ،



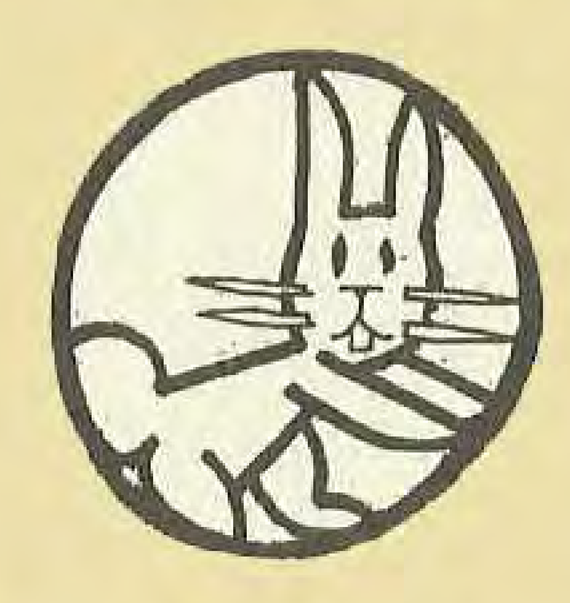
فوجدت أن أغلب السراديب والطرق المؤدية الى سطح الارض قد انهارت ، وتساقطت الأتربة تسدها ، فعادت الأرانب تلتجىء الى بيت الملك ، تستغيث به ، وكان قد مات منها من مات ، وجرح منها من جرح ، وقد تعالى البكاء والصراخ .

اختلى ملك الأرانب بوزرائه ، بعيداً عن هذا الضجيج ، يفكرون في سر هذه المصيبة التي لحقت بهم ، فقرر الملك ايفاد رئيس جنده ، عن طريق سرداب ضيق طويل له فتحة بعيدة عن باقي الفتحات التي يستخدمونها ، ليرى حقيقة ما يجري . وانطلق الأرنب القائد يسير حذرا داخل السرداب الضيق حتى وصل الى سطح الارض ، فأخرج رأسه بحذر ناحية الاصوات الصاخبة التي وصلت الى أذنيه .

كانت الفيلة قد شربت من « عين القمر » ، وأكلت من الأشجار المحيطة بالعين ، وفرحت لنجاتها من الموت جوعا وعطشا ، فراحت ترقص رقصة الأنتصار ، وتدب على الارض بأقدامها الثقيلة ، فتهتز الارض من تحتها ، وتدك سراديب الأرانب تحت الارض ، وتسد فتحاتها .

عندما عاد الارنب الى ملك الأرانب ، ونقل اليه ما يجري عند العين ، أصاب الجميع حزن شامل .. فماذا يفعلون مع تلك الحيوانات الضخمة الهائلة الحجم ، التي يكفي أن تسير في طريقها ، حتى تقضي

على أي أرنب يسعى الى الارض .. قال أحد الأرانب مواسيا الملك « يا مولاي .. لا يجب أن نيأس ... فربما كانت هذه الفيلة في رحلة طويلة لها .. وانها ما توقفت عند عين القمر ، الا لتشرب وتأكل وتستريح لبعض الوقت ، ثم تمضي في طريقها . » . بعثت كلمات الأرنب بالأمل الى نفوس باقي الأرانب ، والتفتت كلهاناحية الارنب القائد ، ترى تعليقه على ذلك القول ، فوجدوه منكس الرأس لا يشاركهم الأمل ، ثم قال بحزن « بل سمعتهم يتكلمون عن اقامة دائمة في المكان ، بعد أن جفت مياه البحيرة التي كانوا يعيشون عندها ، ويشربون من مائها » .



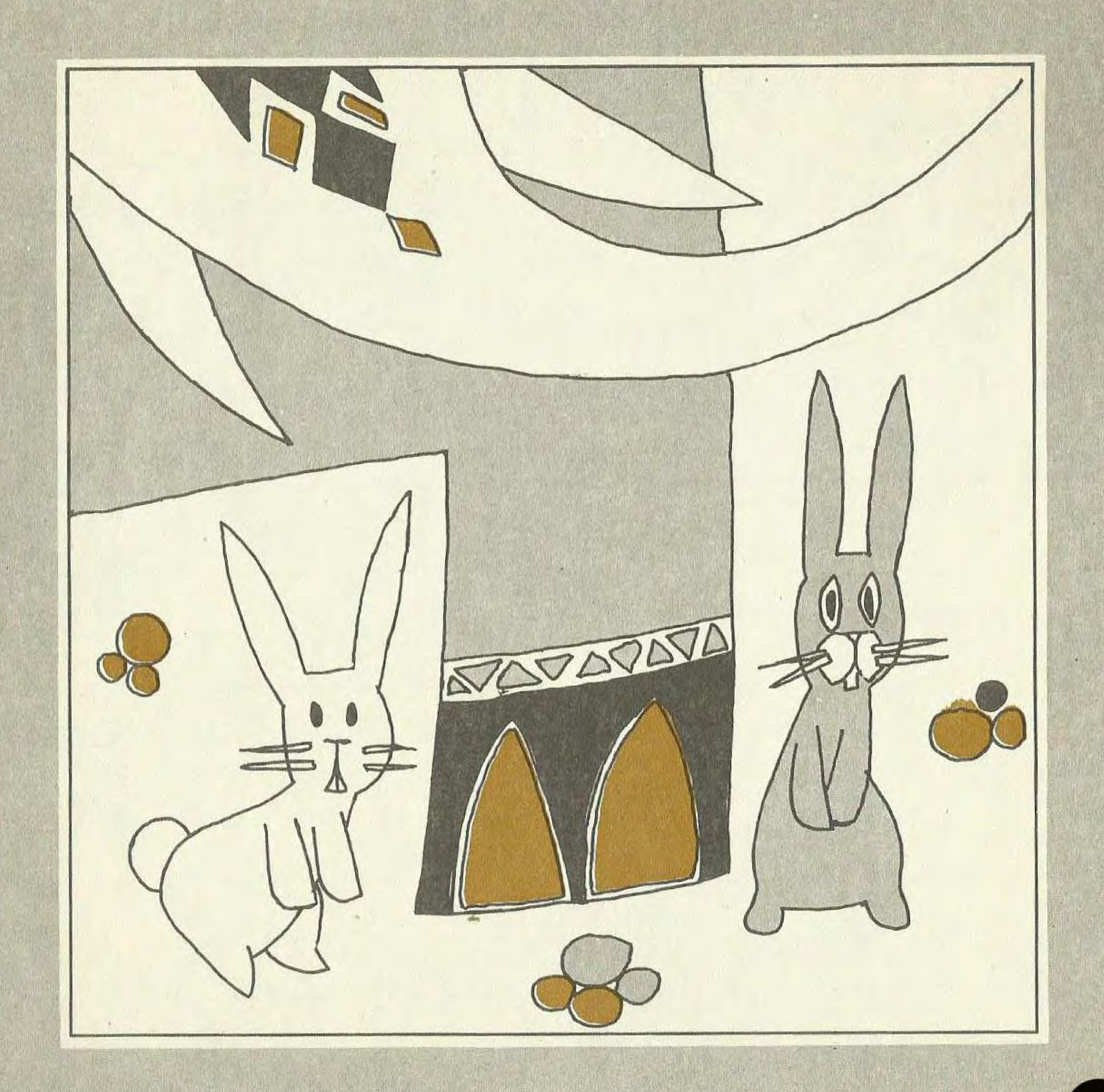
طالت المشاورات وامتدت لساعات طويلة ، وتعددت الاقتراحات ، كلها مستحيلة لا يمكن تنفيذها ، في مواجهة الفيلة الضخمة القوية . قال أرنب شاب في حماس « فلنخرج كلنا معا عندما تنام الفيلة ، ونعضها في أقدامها فتفر هاربة من هذا المكان .. » ، صاح فيه الكبار أن يصمت ، فماذا تفعل الأرانب في قدم الفيل الغليظة الضخمة ؟، وماذا تفعل اسنان الأرانب الصغيرة في جلدها السميك ؟.

قال أحد الكبار بعد أن صمت الجميع « لم يبق أمامنا سوى أن

نتسلل ليلا من جحورنا ، ونمضي نبحث لنا عن مكان بعيد نقيم فيه ، ونبني لنا فيه السراديب والجحور » ، فتعالت صيحات الاحتجاج من الشباب ، كيف نترك أرضنا وبيوتنا وعين القمر ؟، لمجرد أن الفيلة رأت أن تقيم عندها ، ومن يدرينا اذانحن انتقلنا الى مكان جديد أن تلحق بنا ، أو يلحق بنا غيرها ، ويتكرر معنا ما يحدث الآن ؟..

صمتت الأرانب وقد أصابها التعب والارهاق .. وأطرق الملك يائسا .. وارتفع صوت أرنب شاب ، كان الصوت رفيعا ولكن قويا ثابتا « هل يأذن لي مولاي بالكلام ؟.. » . التفتت الرؤوس كلها ناحية مصدر الصوت ، مـــال الملك ، وهو يبحث بعينيه عن ذلك الذي ما زال لديه أمل في حل جديد . تقدم الأرنب الشاب الذي كان أصحابه يطلقون عليه اسم « الأرنب النبيه » ، وعندما اقترب من مكان الملك ، سأل مرة ثانية بأدب شديد « هل يأذن مولاي ؟.. » ، فأشار الملك برأسه موافقا .

تشجع الأرنب الشاب ، وقال « أطلب من مولاي أن يرسلني مندوبا عنه لمفاوضة ملك الفيلة .. » . تعالت صيحات الاحتجاج من باقي الأرانب ، لكن الملك أسكتهم باشارة من يده ، ونظر الى الأرنب النبيه وسأله « وماذا تنوي أن تقول له ؟.. » ، أجاب الأرنب « فليترك لي مولاي أن أختار ما أقوله .. فان في رأسي خطة ماكرة لم تتضح تفاصيلها بعد .. وليعلم مولاي انني اذا أخفقت في مهمتي ، فسأنال عقابي على يد



الفيلة ، ولولا ثقتي في النجاح ، ما طلبت أن أتولى هذه الوساطة » .

أطرق الملك مفكرا في كلمات الأرنب النبيه ، ثم رفع رأسه وقال « أوافق على طلبك ، فماذا يمكننا أن نفعل غير ذلك ، وليس لدينا ما يغنينا عن هذه المحاولة .. لكن ، يجب أن تتصف بما يجب أن يتصف به الرسول الناجح ، من عقل رزين يحسن اختيار الأفكار والألفاظ ، ويجيد الاجابة على ما يطرح عليه من أسئلة ، وأن يتميز باللطف في الحديث حتى يصل كلامه الى قلوب سامعيه .. اذهب يا بني في رعاية الله وقلوبنا كلها معك ؟ » .



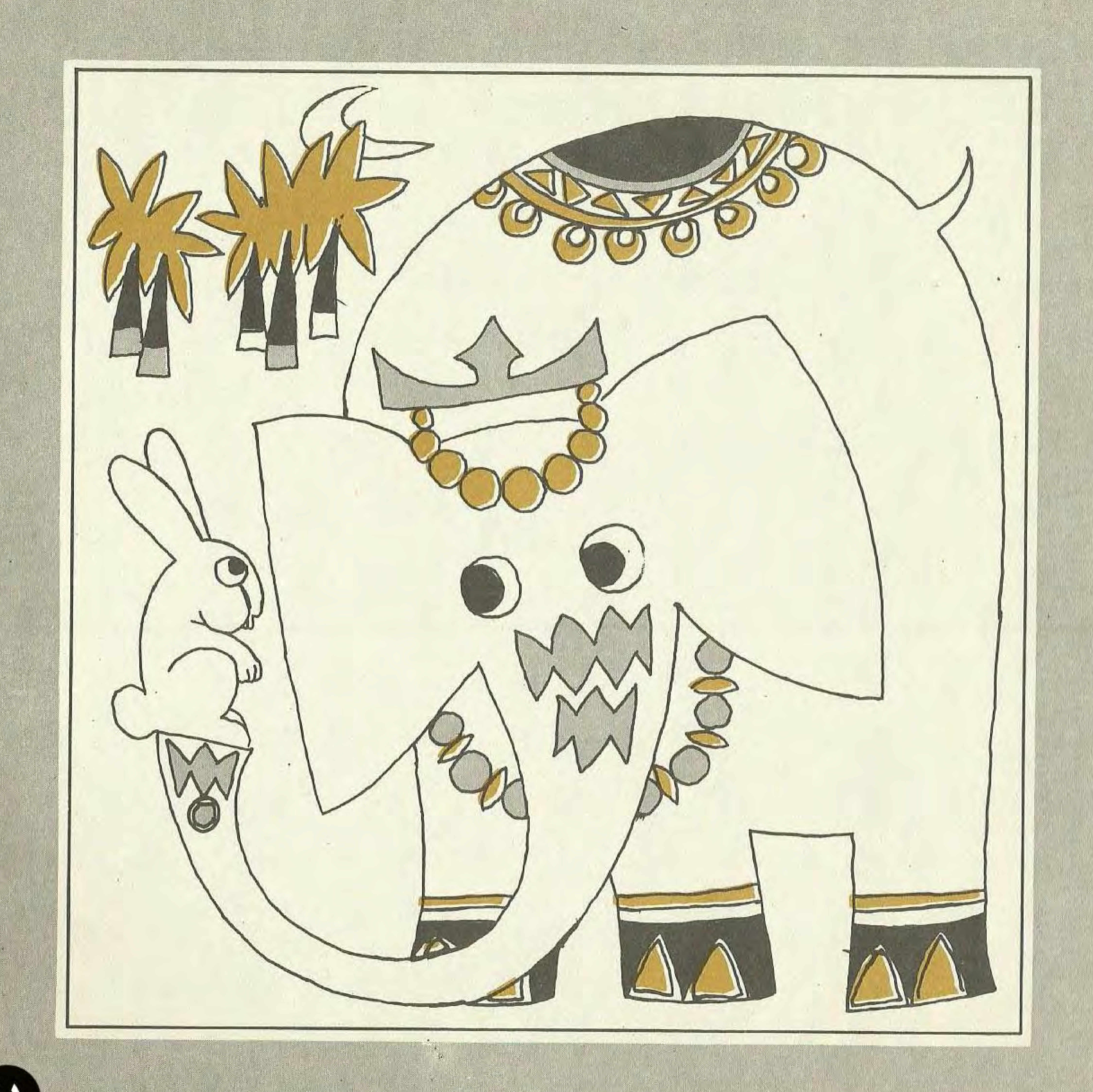
كانت ليلة مقمرة ، يظهر فيها القمر بدرا مكتمل الاستدارة في صفحة السماء ، ويرسل أشعته الفضية على الأرض ، فيلمع كل ما عليها .

سار الأرنب النبيه حذرا خشية أن تدوسه أقدام الفيلة ، حتى وصل الى تل مرتفع قريب من المكان الذي يجلس عنده ملك الفيلة ، فارتقى التل ، وانتهز فرصة هدوء الفيلة وصمتها ، فنادى على الملك .

تطلع ملك الفيلة حوله يبحث عن صاحب هذا الصوت الحاد الرفيع

الذي ينادي عليه فيوقظه من غفوته اللذيذة هذه ، وبعد بحث طويل استقرت عيناه على الأرنب الذي يقف أعلى التل ، وسمعه يقول « يا مولاي ملك الفيلة .. لقد أوفدني اليك القمر رسولا » . صمت الأرنب قليلا ليرى الدهشة التي ارتسمت على وجه ملك الفيلة ، وعاد ليقول « لقد قال القمر كلاما ، أخاف أن أنقله اليك ، فتغضب علي ، وتقتلني ... أما اذا اعطيتني كلمة الأمان ، تكلمت .. والا أمضي في طريقي مبتعدا ، حاملا سر الرسالة معي » .

تعجب الفيل من كلمات الأرنب ، وإن كان قد أسعده أن يرسل اليه القمر رسولا خاصا ، فيكون أول ملك للفيلة يتصل بالقمر البعيد ، قال ملك الفيلة « تكلم !.. ماذا يريد القمر ؟. ولك مني الأمان » . قال الأرنب « حتى أكون أمينا ، سأنقل الى مولاي ما قاله القمر بالحرف الواحد ، فليعذرني مولاي اذا ما قلت ما يغضبه » ، هز الفيل رأسه دون أن يتكلم وقد استولى عليه الفضول ، فقال الأرنب « قال القمر إن الفيلة قد اغترت بحجمها الضخم وقوتها الكبيرة ، فاستهانت بباقي الحيوانات ، ولم ترع حرمة غيرها ... وقال القمر إن الذي يغتر بقوته تصيبه الكوارث من حيث لا يدري .. ويسأل القمر ، كيف تجرأت الفيلة حتى تأتي الى العين الخاصة بي والتي تسمى باسمي ، فتشرب منها وتعكر ما بها من ماء ؟ » . ظهر الاندهاش الشديد على ملك الفيلة ، وجلس يفكر في كلمات القمر .



فرح الأرنب النبيه بوقع كلماته على ملك الفيلة ، فعاد ليقول « أيضا اعذرني يا مولاي اذا ما أبلغتك أن القمر ينذرك بأن تمضي مع شعبك من هذا المكان .. وانه قد صبر طويلا حتى الآن . أما اذا ثار وغضب ، فسيكون انتقامه رهيبا مميتا .. وأن بامكانه أن يفقد الفيلة كلها بصرها .. بل ويمكنه أن يقضي عليها اذا شاء ... هذا هو ما قاله القمر يا مولاي ... وهو ينتظر اجابتك على الرسالة » .

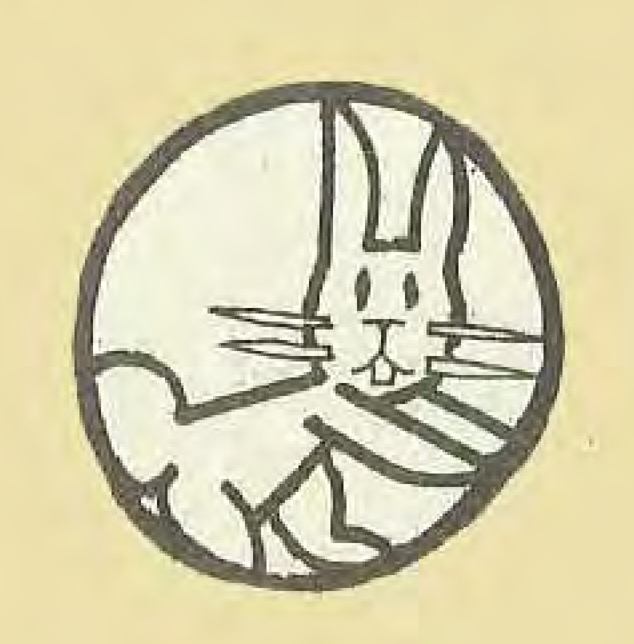
فكر الملك طويلا ثم قال للارنب « انتظر في مكانك حتى أشاور الفيلة وأعود اليك .. » . مضى ملك الفيلة الى قومه ، يتشاور مع وزرائه في ذلك الانذار الخطير الذي تلقاه من القمر . طال النقاش بين الفيلة ، البعض يتخوف من تهديد القمر وينصح بالمضي الى مكان آخر يقيمون فيه ، والبعض الآخر يسخر من قول القمر ، ويسأل « ما لنا وما للقمر وهو معلق في السماء ؟.. فليسبح هو في السماء كما يشاء ، وليترك لنا الأرض نسكن الموضع الذي نختاره منها » ، فلجأ الملك الى الفيل العجوز يسأله المشورة ، وكان الفيل الحكيم يعاني من مرض الموت لا يقدر أن يتحرك من مكانه ، فقال للملك « اسأل ذلك الرسول ، ما هو دليله على صدق ما يقول » .

عندما عاد ملك الفيلة الى الأرنب وسأله ، أجاب « لقد قال لي القمر ، اذا ما شك ملك الفيلة في رسالتي .. فليذهب الى عين الماء ليلقاني .. » .



مضى ملك الفيلة الى عين القمر ، والأرنب يسبقه اليها ، حتى لا تدوسه أقدام الفيلة التي سعت الى العين لتشهد ما سيجري بين ملكها وبين القمر . عندما وصل ملك الفيلة الى العين ، نظر الى صفحة الماء ، فوجد القمر مرسوما على سطحها ، بدرا مستديرا لامعا . تسرب الخوف الى قلبه ، فرجع خطوة الى الوراء ، فسعد الأرنب بهذا وصاح « لماذا تتراجع أيها الملك ؟.. تقدم وضع خرطومك في الماء ، حتى تعرف ما سيفعله القمر ، وحتى تصدق كلامه » .

تشجع الفيل ، وهو يستمع الى صيحات شعبه من الفيلة تهتف من خلفه « تقدم !. نحن معك أيها الملك !.. » . تقدم ملك الفيلة نحو العين ومد خرطومه الى الماء ، فاهتزت صورة القمر على صفحة الماء اهتزازا شديدا ، فخاف وهو يرجع الى الخلف سائلا الأرنب « لماذا ارتعش القمر واهتز هكذا ؟.. » . قال الأرنب منتصرا « لقد أغضبه أن تمد خرطومك الى عينه ... هيا حاول مرة ثانية فينقض عليكم جميعا !.. ويفنيكم !!. » . ما أن سمع الملك قول الأرنب حتى فر هاربا ، ومن خلفه الفيلة كلها ، تبتعد ناجية بنفسها من غضبة القمر .



لم تصدق الأرانب نجاح خطة الأرنب النبيه الا بعد أن خرجت من جحورها ، ووجدت أن الفيلة قد اختفت من المكان . ووقف ملك الأرانب يشرب من العين ، فلما ارتوى نظر الى باقي الأرانب وقال « لا بد لنا أن نحتفل بهذه المناسبة السعيدة .. وأول ما نفعله هو أن نكرم الأرنب النبيه ، فقد استطاع بالحيلة والذكاء أن يتغلب على جيوش الفيلة بكل ضخامتها » ، ونظر الى الأرنب النبيه وقال بسعادة « اقترب مني أيها الأرنب الشاب ... فأنت من اليوم وزيري » .

